الشعبية والديمقراطية وغيرها ان تبدو وكأنها اكثر استيعابا لتصميم الجماهير على الحركة الثورية لانها رفضت هضم المهادنات المفروضة على الانظمة والمهادنات المفروضة على المقاومة . وقد تمكنت هذه المنظمات الاكثر قدرة على التعبير عن وجدانية الثورة من استقطاب قطاعات من الجماهير وجدت فيها مرسى لقلقها وضياعها . لكن صغر حجمها لم يمكنها من الاستقطاب العام نظرا لضآلة فعاليتها على الساحة الاردنية الاساسية . كانت احدى نتائج هذا الارتباك في صيغ العلاقة مع الجماهير ان تأثرت علاقة فصائل المقاومة مع بعضها بعضا وبدأ وهج العلاقة الوجدانية بين الجماهير والمقاومة الفلسطينية يبهت . ومع ان الجماهير العربية تدرك بحسها الثوري ان لا بد من تعقيدات تواجهها المقاومة الفلسطينية وان على المقاومة ازاء هذه التعقيدات ان تقوم بانحناءات تكتيكية امام النظام الاردني او امام الانظمة العربية الاخرى ، الا ان غياب المشاركة وغياب انتظام التفكير بين المقاومة والجماهير ، جعل من هذه الانحناءات التكتيكية تبدو وكأنها تخل عن المضامين الثورية لحرب التحرير الشعبية التي يفترض بالمقاومة ان تضع التصور الاستراتيجي لها وان تقوم بمتطلبات التعبئة لها وتنظيم عملياتها .

في هذه المرحلة بالذات ايضا ، اشتدت الخلافات بين فصائل المقاومة الرئيسية واشتدت عملية الانشقاقات فيما بينها مما زاد في عملية ارتباك العلاقة بينها وبين الجماهير ، مما ادى الى جعل الجماهير العربية مكتفية الى حد كبير بعلاقاتها السياسية الباهتة نسبيا مع القيادة المصرية . كانت هذه العلاقات السياسية مع القيادة المصرية علاقات اصيلة ومستمرة الا انها لم تعد علاقات ثورية . كأن الارتباك في علاقتها بالمقاومة، جعل الجماهير تقبل بمنطق تحقيق الممكن بدلا من اجتراح المستحيل ، أي ان قوة الجماهير التي كانت تكمن في طموحها ، اصبحت هذه القوة تكمن في استمرارها ، وكأن المقاومة الفلسطينية عندما دخلت في وجدان الجماهير ابقت الطموح لديها ولكنه كان طموحا بدون توجيه بينما تمكنت القيادة المصرية ، برصيدها الثوري الوطني السابق ، ان تحتفظ بالعلاقة السياسية ، فرغم ان الهزيمة انتزعت من هذا الرصيد قيمته الثورية ، الا انها لم تنتزع قيمته الموضوعية . وحين نؤكد على عامل الارتباط بين الجماهير والقيادة المصرية المتمثلة بالرئيس عبد الناصر ونحن في معرض الحديث عن الاردن ، فلان الساحة الاردنية كانت تضم القوى الثلاث الرئيسية : قوة النظام الاردني الهاشمي ، قوة الحائل الناصري ، وقوة المقاومة الفلسطينية . كانت قوة الحائل الناصري تلتحم وتتناسق مع القوى الذاتية للمقاومة الفلسطينية وتشكل لها بالتالي الحماية النسبية التي تمكنها من ان تتحرك ثوريا وفدائيا .

المقاومة والقيادة الناصرية

ان الواقع الذي كانت تعيشه الجماهير العربية اجمالا من حيث التلاحم بما نسميه اعتباطا حركة الجماهير الناصرية ، اي المتأثرة بقيادة عبدالناصر ، وبالثقة المتراكمة لديها به ، كان يجيز للمقاومة الفلسطينية التعامل مع الانظمة ويمكنها في الوقت ذاته من التحرك الجماهيري . وقد كانت السياسة المصرية في هذا الحين تؤكد على امكانية التوازي بين العمل من اجل الحل السياسي بموجب قرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الامن وعمل المقاومة من اجل التحرير الكامل . ورغم التنافر العلمي والعملي بين هذين السلوكين : السلوك بموجب قرار مجلس الامن والمحاولات السياسية والدبلوماسية لتنفيذه ، وسلوك المقاومة الفلسطينية الذي يتجاوز هذا القرار ويواصل التخطيط والعمل في سبيل التحرير على المدى الطويل ، فقد كان هناك اصرار لدى الطرفين : القيادة الناصرية والمقاومة ، على الظهور بمظهر عدم التناقض بالنظر الى ارتباط الجماهير سياسيا بعبد الناصر ووجدانيا بالمقاومة الفلسطينية . اذا كان هذا الارتباط